يومنا الوطني العظيم

اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية ليس له مثيل في الأيام القومية. فكل من يوازن بين الماضي والحاضر يكتشف سر عظمة هذا اليوم في التاريخ فقد وحد أمة.

عندما نقرأ التاريخ.. وما كتبه بعض المؤرخين المنصفين أمثال ابن بشر وابن غنام عن حالة الجزيرة العربية قبل ظهور البطل الفذ جلالة الملك المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل.. نقف على حقيقة مذهلة للصراع القبلي والفوضوي وعدم الاستقرار، فقد كانت الجزيرة العربية صورة لجاهلة العرب الأولى. قرى صغيرة متجاورة تقتتل حتى الفناء.. قبائل تغير على بعضها دون أن يكون هناك نظام يحكم ويضبط معايير العيش والحياة والتعامل على أديم هذه الصحراء، لم يكن فوق هذه الأرض إلا الرعب والدم والدمار وكان اللصوص والمغامرون وقطاع الطرق (الحنشل) يهددون أمن قوافل الحج.. ويسلبون هذه القوافل ويقتلون من فيها.. وظلت هذه البلاد ترزح تحت هذه المصائب فترة طويلة من الزمن. حتى ظهر الملك الموحد المؤسس عبدالعزيز. لقد كان عبدالعزيز عالي الهمة طموحاً بلا حدود وكان يؤلمه أن تظل هذه البلاد مسرحاً للفوضى والحروب ويظل بنو قومه يعيشون كما تعيش وحوش الغاب، فنذر نفسه لتخليص هذه البلاد من ويلاتها. واستطاع بإيمانه العميق وقوة عزيمته العربية ومساندة شعبه ورجاله وتوفيق الله قبل كل شيء أن يقضي على الفساد ويرسخ دعائم الأمن ويلم شمل القبائل ويوحد بينها في أول وحدة عرفها التاريخ العربي لا تزال قائمة بعد وحدة الإسلام الأولى.

وليس لنا أن نتحدث عن كفاح عبدالعزيز وبطولته وتضحياته وشجاعته فهناك ألوف الصفحات البيضاء التي سجلها المؤرخون وهم حافظ وهبة، وعبدالله فلبي، والريحاني، وغيرهم عن هذه المناقب العظيمة لعبدالعزيز حتى أن كثيراً من هؤلاء المؤرخين عدوا فتح الرياض معجزة من المعجزات النادرة في تاريخ الأمم والقادة العظام.

وإذا كانت المملكة اليوم بعزها ومجدها وازدهارها وأمنها تعتبر مثلاً حياً للدولة العصرية الحديثة فما هي إلا عصارة كفاح الملك عبدالعزيز وشعبه الوفي كفاح بطل غيّر مجرى التاريخ في جزيرة العرب فأسس هذه المملكة التي تعيش وتنعم بالأمن والرخاء والاستقرار بعد أن كانت أجزاء متفرقة العيش فيها نوع من المستحيل.

إن هذا اليوم الوطني الذي نفخر به ونعتز هو رمز الوحدة ومعنى الأمن والاستقرار، فجدير بنا في هذه المناسبة الكريمة أن نشكر الله وأن نترحم على ذلك المؤسس العظيم ورجاله الذين صنعوا أول وحدة عربية لا يزال العالم العربي والإسلامي يحلم بمثلها حتى اليوم.

وما أحوج العرب والمسلمين في هذه المرحلة الصعبة إلى زعماء وقادة يسيرون على خطى البطل عبدالعزيز وأبنائه حتى لا يظل العالم العربي والإسلامي يتخبط في ظلام التمزق والضياع حتى أصبح هدفاً لأطماع ذوي القوى والدين من الدول المجاورة!!.. ونسأل الله التوفيق.

بقلم :
أحمد الشدي